جامعة أبو بكر بلقايد

قسم الفنون

مقياس / تاريخ السينوغرافيا

أ.المقياس / عباسية مـدونــي

المحاضرة الأولــى **أصل كلمة سينوغرافيــا**

لقد اختلف المهتمون في المسرح، حول معنى (السينوغرافيا) وحول تعريفها، فمنهم من اعتقد بأن المعنى فيها يقف عند حدود المنظر **(الديكور)**، والآخر في الضوء **(الإنارة)**، وغيرهم اعتبروها الزخرفة وغيرهم في المستلزمات البقية للتكوين الفني للصورة المسرحية وهكذا، ومثلما اختلف المعنى المحدد لها، تعددت التعاريف الكثيرة التي سترد في سياق البحث تباعا. لكن مع تعدّد التعريفات ، فقد نلفي أن التعريف الأمثل لها هو أن **" السينوغرافيا هي فن تنسيق الفضاء ، والتحكم في شكله بغرض تحقيق أهداف العرض المسرحي الذي يشكل إطاره الذي تجري فيه الأحداث "**(1) ، وهو تعريف واف وشامل ولا يترك الفرصة لأن تنفرد واحدة من مكونات العرض بالمعنى وإنما كل ما يحقق الصورة المسرحية بكاملها أمام المتفرج، وبعكسه ستصبح السينوغرافيا ناقصة بغياب واحدة من مكوناتها، وعليه فإن السينوغرافيا هي **"الفن الذي يرسم التصورات من اجل إضفاء معنى على الفضاء"(2)** وإضفاء المعنى في وصول الفكرة لن يترك مكونا من المكونات التي تحقق تشكيل الفضاء وتنسيقه إلا استخدمتها، فهي بذلك العملية الأهم في عمل المخرج على إعداد العرض المسرحي من أجل الوصول إلى التكامل الفني في العرض المسرحي،وبدأ من تحديد المخرج لـنوع المسرحjoiner ، الذي يؤهل بالشروع في وضع الخطة الأرضية plan ، وما يتبعها من مناظر وضوء وألوان وحركة وإكسسوارات، وكل ما من شأنه توضيح المعالم النهائية المعبرة عن صورة الشكل والتجسيد في الفضاء المسرحي **[ساحة الأحداث]** المفترضة لحياة المسرحية، أو المكان الذي

يتم اختياره في استخداماتها في الفضاءآت المتنوعة: [**المدينة ، الملاعب ، الساحات العامة ، العمارات ، السطوح ، المزارع ، السواحل البحرية أو النهرية أو البحيرات ، الشارع ، المقهى ، المعمل ، السجن ...** وغيرها من الأماكن المهيأة للفعاليات وأنواعها]. ولو أن البعض يرى بأن **[السينوغرافيا]** فن لا يتجاوز فهمه عن حدود الديكور**[المنظر]**، منطلقين، مبررين ذلك من أن المصطلح الوارد في الدوريات المسرحية الصادرة باللغة الانجليزية، والمستخدمة غالبا في معاهد المسرح في أمريكا وانكلترا، وان الاستخدام الأقرب للسينوغرافيا يكمن في المصطلح [**scène design**] و [**seenichut**]و [**setting**] [و [**scenic setting**]وكلها تصب في **[فن المنظر](3)**.

إن هذا الرأي وكل ما دار في فلكه من الآراء، لا يمت بصله لمفهوم السينوغرافيا مدار البحث إذا ما عدنا إلى التعريف السابق **[فن تنسيق الفضاء]**، لسبب هام هو أن **{فن المنظر}** لا يبتعد عن تصميم وتنفيذ وتركيب المنظر **[الديكور]**، بعيدا عن خدمته بما يجعل منه مضمونا وشكلا واضحين ومتحركا باللون والممثل وبقية مستلزمات من موسيقى ومؤثرات وغيرها ، والذي أثار انتباهي في هذه الآراء هو انه اتكأ على آراء تؤيد سيادة استخدام المصطلح الحرفي في تسيد **[فن المنظر]** ، وليس المعنى الآخر الذي يعني كما أسلفنا **[فن تنسيق الفضاء]** وفي الفضاءات على اختلافها، لكن وعلى الرغم من الاقتراب الكبير بين المعنيين القديم لـ **[السينوغرافيا]**، والمعنى الحالي، وكلاهما يبقى بعيدا عن مفهوم **[الزخرفة]** بالمعنى الذي نعرفه، إلا أنها قريبة من معنى **[الديكور]** أو انه يشكل جزء من تكوينها، لى أن نعرف من أن العديد من مصممي الديكور يؤكدون من أن السينوغرافيا ، والديكور ، فنان مستقلان عن بعضهما ، وكل واحد منهما فن قائم بذاته، كما أنهما لا يلغي احدهما الآخر ، والذي يمارسهما يلمس الفرق بوضوح ويتأكد من الاختلاف بينهما.

السينوغرافيا stenographic باعتبارها مصطلحا – **في البدء كان يونانيا - و" معناه كل ما يتعلق بالرسوم المتواجدة على خشبة المسرح "**(4) ، ورغم الاعتقاد السائد بقوة في أن المصطلح اليوناني هذا لم يكن يقتصر على المناظر وحسب، وإنما تعداه إلى حركتها – **المناظر** - مع بقية العناصر المكونة لشكل العرض المسرحي كاملا، بدء" من [المضمون، وما يتبعه من حركة الممثل، ومستلزمات التنسيق لصورة الفضاء المسرحي، والذي ينطبق على سينوغرافيا المسرح ينطبق على غيره من سينوغرافيا الفضاءات الأخرى السالفة الذكر .

صحيح أنها جميعا ولدت من رحم **[فن الزخرفة]**، وإنها اشتقت من الكلمة اليونانية **skenegraphein** والتي تعني: **تجميل واجهة المسرح skein بألواح مرسومة**، عندما كان المسرح [**خيمة**] أو [**كوخا من الخشب**]، ثم [**مبنى**](5) ، وقد نتفق تماما مع هذا المعنى لسبب غاية في الوضوح، وهو أن التقنيات الحديثة - **المستخدمة الآن** - لم تكن معروفة بعد في الفترة الرومانية وما تبعها من حقب، وإنما تدرجت في التطور لتصل إلى ما تعارفنا عليه اليوم بـ [**فن الديكور**]،ومن خلاله ما حصل من تطورات لتصل إلى فنون [**السينوغرافيا**] بمفهومها الحالي والذي نعرفه: [**فن تنسيق الفضاء**]، - حسب معماريي عصر النهضة أيضا – أو كما أطلقوا عليه **[فن المنظورات]**(6).

وقد برزت موجة في فرنسا، نهاية العقد الأخير من القرن العشرين، نزعة أخرى ثار أصحابها على كل المعاني القديمة فأطلقوا على حركتهم تسمية [**انفتاح السينوغرافيا**] ، وتعني " **تطبيق ما يتصل بخشبة المسرح في مجالات أخرى غير العرض المسرحي.** فبشروا بـ[**سينوغرافيا المعارض**] و [**سينوغرافيا الأحداث الهامة**] و[**سينوغرافيا المناسبات والاحتفالات**]"(7) ، والتي تهدف إلى **"عمارة الفضاء. وخلق إطار معين وتحديد فراغ ما، وإضفاء طابع معين على مكان ما، من اجل شخوص معينة وحكاية ما، وصياغة وجهة نظر أو أكثر"**(8).

إن استخدام كل الوسائل والمستلزمات الواجب تحضيرها بما يحقق الصورة المثلى لتنسيق الفضاء في شكله ومضمونه قبل التحضيرات التركيبية لها، كي يعرف العاملون – من مصممين ومنفذين وفريق عمل - كيف يتصرف كل منهم في الحيز المخصص لواجبه وإبداعه ضمن مكانه المخصص له في السينوغرافيا ضمن مكانها المقرر المسرح أو أي مكان آخر كان، على أن نعرف بأن أهم المتحركين في كامل الفضاء المنوي تجسيده هو [**الإنسان**] في الفضاءات خارج المسرح ، أما الإنسان المقرر في فضاء المسرح فهو **[الممثل]** الممتلك لأدواته والعارف بنوع العلاقة التي تجمعه مع كل واحدة من تلك المستلزمات ومنها العلاقة مع الممثلين، وما يحيط به من الكتل الديكورية ومصادر الضوء وما يرافقها من ألوان تحدد نوع تصرفه في فعله وحركته ، ومن ضمنها المتفرج الذي يتلقى الخطاب المسرحي يدخل ضمن سينوغرافيا المسرح . بل وكل ما " **يشير إلى تنسيق كافة العناصر الداخلة في الإنتاج المسرحي ضمن فراغ محدد هو المسرح** "(9) وقاعة العرض وخارجها ، فهي جميعا تدخل ضمن الجو العام

الذي يتحكم بالمزاج العام لكل ما يدور في فلك الفنون الدرامية، فلا يقتصر فعل السينوغرافيا على ما فوق خشبة المسرح وحسب ، وإنما يتعداه إلى ما هو خارجها أيضا ، بل وفي الفضاءات المتعددة ومهما كان حجم فضائها سواء كان ذلك الفضاء ضيقا حينا أو متسعا في أحايين أخرى ، حيث ينشط في استثمارها **[السينوغراف]: الرجل الخبير بالرسم والتصوير والنحت والعمارة والمنظور، الذي يبتكر ويصمم وينفذ ما يتاح له من أشكال معمارية فنية وكل أنواع الديكور اللازمة للمسرح"**(10) وغيره من الفضاءات التي مر ذكرها . فهو – السينوغراف – أو – المخرج - الذي يمارس عمله على إيجاد الخطاب المناسب – وفق رؤيته – كي يبثه إلى المتلقي ، من خلال تلك الفضاءات ، ومن خلاله يلعب دوره الذي يريد .ذ

وبالتالي السينوغرافيا : كأي فضاء حي دائم التبدل والتنوع ، تماما كما الحياة الواقعية الدائمة الحيوية المتغيرة في تحولاتها المتعددة والمنطقية للأشياء ، بل وحتى اللامنطقية منها أحيانا، والمسرح الذي يخضع للتغير وفق التطورات الحتمية في الحياة ، وفي حركة الممثل المتنقل دوما بين الأجزاء والمحرك الديناميكي لفضاءات العرض، وهذا لا يمكن له أن يحصل إلا في لحظات ثبات الرؤية الفنية في وحدة فنية وأسلوبية للصورة المكتملة وما يليها من الصور في سياقات التطورات الديناميكية الدراماتيكية للحياة والمسرح ، تماما مثل حركة **[المتواليات المنطقية]** والمحكومة بقوانين التطور الاجتماعية، وهنا حيث تتدخل ضمن عمليات التكوين ، في الهدم والبناء ، قوانين : **[الكتلة ، والحركة ، والزمن]** مع الاستخدام الأمثل : **[للضوء ، والظلام ، والمؤثرات الصوتية والصامتة ، وما يلحق بها من الملابس على اختلافها ، وما يتخللها من الالوان]**، في الفسحة التي تمنحها مكونات فراغ الفضاء من : **[الارتفاع والعمق والعرض]** ، وهي المستلزمات التي تساعد الإنسان - الممثل في المسرح] إلى امتلاك الأجواء في إتقان فعله المسرحي، في تأثيراته العاطفية والنفسية والجمالية، والتي تحقق الإيقاع – نبض الحياة الطبيعية أو المصنوعة، التي توصل الخطاب المطلوب في أحسن صوره. إن في فهم تلك العناصر المكونة للعرض – مجتمعة - كفيلة بمنح صورة السينوغرافيا التي نريد في الحياة أو على خشبة المسرح ، وعليه فان الحركة في المسرح وتحريك كامل أجزاء الفضاء ، هي : **[صورة التشكيل الحركي]** أو ما نطلق عليه اصطلاحا **[الميزانسين في حالة الفعل.]**

والسينوغرافيا فن مركّب – كما أسلفنا - ويمتلك التعددية في المعنى أيضا ، فهو الجامع لكل الفنون وهو أحد تعريفات المسرح الذي نطلق عليه مصطلحا [أبو الفنون] ، أو هو نتيجة حتمية لجمع شمل كل الفنون في تركيبة واحدة نطلق عليها [**العرض المسرحي**] ، في وحدة أسلوبية وفنية بقيادة [**السينوغراف**] أو [**المخرج**] – الرجل الأهم في المسرح – فهو المفكر ، والقائد ، والمنظم لكامل العملية في تنسيق الفضاء ، والذي لن يستغني عن جهود المحرك لكل أجزاء السينوغرافيا ، ومكوناتها [**الممثل**] ، في وحدة متجانسة ، وكل لا يتجزأ ، والذي ينطبق على سينوغرافيا المسرح وتنسيق فضائه ، ينطبق كذلك على الفضاءات الأخرى – سالفة الذكر - المراد تحريكها في السينوغرافيا.

وعليه فإن أي تداخل بين عمل [**السينوغراف**] - إذا ما أفردنا له عملا في العرض المسرحي – يتعارض تماما مع عمل [**المخرج**] في المسرح وربما في مجالات العمل المرئية كافة ، وبالتالي فان من يقترح وضع السينوغرافيا المسرحية هو [**المخرج**] حتما وليس الـ[**سينوغراف**] ، وذلك بعد دراسة علمية مستفيضة لكامل احتياجات شكل المضمون المراد تجسيده ، والتي تعني في الإخراج: [**علم المرئيات والمسموعات**] للخطاب المبني على دراسة وافية التي تلبي حاجات المتلقي الاجتماعية وما يتبعها من إجابات لتساؤلاته وفي البحث عما يخلصه من مخاوفه في الحياة المحفوفة بالكثير من المخاطر.

ولكي لا ينشأ الخلط بين عمل الاثنين [**المخرج والسينوغراف**] لابد لنا من الاستغناء عن واحدة منها وبالتأكيد هي وظيفة – **السينوغراف** – للتخلص من التداخل في عمل الاثنين معا في المسرح ، على أن نتفق على أن في التفريق بينهما ، لا يعني الاستغناء الكامل عن دور[**السينوغراف**] في بقية الفضاءات التي مر ذكرها حيث ستحقق هناك نجاحها الأكيد غالبا ، لكنها لن تستغني في النهاية عن مكملات المشاهدة بالاستعانة ببقية الفنانين – كما في المسرح - بإضفاء اللون والضوء وحركة الناس – من غير الممثلين - في الفضاءات الأخرى البعيدة عن المسرح ،معزولة عن وظيفة المخرج في المسرح، إذا ما تم الاتفاق عليها وممارستها – كدور معزول – له خصوصيته في صناعة العرض، ستعزز النقاش.

هذا ، وتتنوع السينوغرافيا في المسرح بتنوع الفضاء المسرحي الذي تقدم فيه العروض المسرحية من شكل الفضاء ونوعه ، فهناك الفضاءات المستوية والعلبة والمسارح المقوسة والدائرية ، وكذلك سعة الفضاء وضيقه ، كأن يكون ساحة عامة أو معمل أو مقهى ، وغيرها .

[المثير] هو الذي يلعب الدور الهام في المشاهدة، سواء في الفضاء الواسع أو الضيق على حد سواء، وقد لا يثيره شيئا من ذلك الفضاء ، وهو ما نطلق عليه بـ **[موت السينوغرافيا]** أو فشلها. والسينوغرافيا المبدعة التي تحقق الدهشة، تأخذ بنظر الاعتبار ماتم عمله من قبل خوفا من السقوط في التكرار أو التقليد .
والسينوغرافيا واحدة من ثلاث وسائل للرسم في البناء المعماري – مسرحي وغيره – وهي:

(1**التخطيط الأفقي.**

(2التخطيط العمودي.

(3السينوغرافيا، في بقية مكوناتها.

وهي هنا " تصوير لوجه من وجوه المبنى، والواجهات المتحركة التي تسمح بالحصول على تصور كامل عن مظهر المبنى النهائي عن طريق الحيل البصرية "(11). والحيل البصرية هنا هي ما يضفي على الواجهة من ضوء ولون ، وعليه فهي تأكيد كبير على إن السينوغرافيا هي ليست **[المنظر]** وحسب.

والاختلاف في وجهات النظر حول مفهومها إنما تؤكده الممارسة لوحدها ، وهي الكفيلة التي تحسم الخلاف وفقا لتجربة كل فنان ، **فما الجدوى من تأسيس الشكل المنظري المتكامل في ظلمة دامسة ، خالية من حياة الممثل التي تحركها؟ ومن بقية المستلزمان التي تحقق فيها المشاهدة الفنية ذات المتعة الحسية العالية.**

وفي الأخير نستنتج بأن **[السينوغرافيا]** بالنسبة إلى المعماري: هي تصور المظهر التشكيلي الخاص بالحيز الذي يقام عليه العرض ساحة أم ملعبا أم واجهة لبناية وغيرها ، تماما مثل **[خشبة المسرح حين يعمل على تنسيق فضاءها فنيا [المخرج]**. فـ **[السينوغراف]**: هو مقنن المهمات والمواد التقنية التي يحويها المكان ، و **[السينوغرافيا]**: يجب أن تستوعب مكانا فيه**: حكاية، وشخوصا، وصياغة،** أو باختصار شديد هي: **[إضفاء معنى للفضاء الذي نختاره للعمل]**.

وهي منذ المخرج الأول في المسرح الحديث [**ساكس ما يننغتن] في[ألمانيا - برلين في 1 مايو 1874] الذي دعى إلى" إخضاع المناظر والإضاءة والملابس والماكياج والملحقات الأخرى إلى جانب التمثيل والتخطيط الكامل ، وكلها تجتمع في إطار التأثير العام "(11) .**

المصادر

.1مارسيل فريد نون : فن السينوغرافيا ومجالات الخبرة ، كراس [السينوغرافيا اليوم]، ترجمة: إبراهيم حمادة وآخرون، وزارة الثقافة، منشورات مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي 1993 القاهرة ، ج.م.ع. ص8.

.2نفس المصدر السابق، ص8.

.3سامي عبد الحميد: السينوغرافيا وفن المسرح، بحث قدم إلى مهرجان أيام عمان المسرحية، الدورة الثالثة من 1996/3/27 لغاية 1996/4/8.

.4زينو بيوس: السينوغرافيا، ملحق الثقافة الأجنبية، إصدارات وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية للطباعة والنشر، بغداد 1980، ص128.

.5مارسيل فريد فون: ص13.

.6الياس أنطوان الياس: {القاموس العصري} المطبعة العصرية، ط1، ج.ع.م، 1956.

.7مارسيل فريد فون: ص8.

.8مارسيل فريد فون: ص8.

.9لوي دي جانيتي : كتاب (فهم السينما) ترجمة : جعفر علي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد 1981 ، ص75.

.10مارسيل فريد فون: ص8.

.11مارسيل فريد فون: ص13.

كلمة سينوغرافيا أو (Scenography) بالإنجليزية من أصل يوناني وهي كلمة (Skini-Grafo) وهي تنقسم الي مقطعين (Skini) وتعني خشبة المسرح، أما (Grafo) فتعني "أن تكتب أو تصف"؛ لذلك فمعناها الأصلي هو "أن تصف شيئا علي خشبة المسرح". هي البيئة المكانية للعرض المسرحى، من منصات، عناصر منظرية، إضاءة، موسيقى، مؤثرات خاصة.
السينوغرافيا كتصميم فني أو تقنية, تكمن في تصميم وتنفيذ عناصر مشهدية (أو ديكور) للسينما والتلفزيون والمسرح. بالإضافة إلى تصميم ملابس الممثلين وأزيائهم وما إلى ذلك.
يعد مصطلح السينوغرافيا مصطلحا حديثا نسبيا في استخدامه،ومع ذلك فإن مفهوم السينوغرافيا كان متواجدا منذ فترة طويلة.ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال، يسمى الشخص الذي يتولى مسئولية تصميم المناظر المسرحية،الملابس،والإضاءة باسم "مصمم السينوغرافيا" .وأيضا يطلق على العلم الذي يدرس جميع العناصر التي تشكل العرض المسرحي من تمثيل،إضاءة،ديكور،مناظر وغيرها اسم علم "السينولوجيا". ومع ذلك يمكن القول إن مصطلح السينوغرافيا أصبح مترسخا الآن، ليس فقط كمصطلح يصف تصميم جميع العناصر المرئية في العرض المسرحي،ولكن أيضا من ناحية دراسته كفرع من فروع دراسات المسرح والأداء.فبعد أن تحررت دراسات الدراما والمسرح من عباءة الدراسات الأدبية،أصبحت تدرك العلاقات المتبادلة التي تربط بينها وبين الجوانب المختلفة للأداء. وصاحب هذا التطور،تزايد الوعي بأن تاريخ المسرح يؤكد أنه كانت دائما ثمة علاقة عميقة تربط بين الحدث المسرحي من جهة،وبين أساليب السينوغرافيا والأداء من جهة أخرى. فقد شهدت انجلترا في القرن الثامن عشر،تحول المسرح من مجرد عمل بلاغي إلى حالة تصويرية.ومع التوصل إلى أساليب وتقنيات حديثة،واستخدام أجهزة مسرحية أكثر تعقيدا،تزايدت القدرة على إنتاج مزايا تصويرية أعظم أدت في النهاية إلى تعديل مفهوم العرض المسرحي بشكل عام. ويمكن تعريف السينوغرافيا،بأنها عملية صناعة العمل المسرحي بما يتضمنه من مناظر،ديكور،ملابس،إضاءة وغيرها . ويذكر أن كلمة سينوغرافيا هي كلمة من أصل يوناني.وهي كلمة تتكون من مقطعين: سكيني وتعني مسرحي،وجرافو وتعني يكتب أو يصف.وعليه يكون المعنى الفعلي للكلمة هو وصف شئ على خشبة المسرح .